الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ، الحمدُ للهِ كما ينبغي لجلالِ وجهِه، وعظيمِ سُلطانِه، الحمدُ للهِ حمدُ الشاكرينَ، والشكرُ له شكرُ الحامدينَ، أحمدُه سبحانَه وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلماً، أهلٌ هو أن يُعبدَ، وأهلٌ هو أن يُحمدَ، وأهلٌ هو أن يُشكرَ، نِعمَه لا تُعدُّ، وخيراتُه لا تُحدُّ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمَ الحامدينَ، وأكثرَ الشاكرينَ، أثنى على ربه حَمداً، فزاده تَشريفاً ومجداً، اللهمَّ صلِّ على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه والتابعينَ ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلمَ تسليماً كثيراً .. أما بعد:

أَيُّها الأَحِبَّةُ .. بَدَأَ الصِّرَاعُ والعَدَاوةُ بَينَ الإنسَانِ والشَّيطَانِ، عِندَمَا حَسَدَ إبلِيسُ آدَمَ وأَظهَرَ الجُحُودَ والعِصيَانَ، فَسَألَ البَقَاءَ إلى يَومِ القِيَامَةِ، لِيَصرِفَ بَني آدمَ عَن طَرِيقِ الكَرَامَةِ، (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)، وتأَمَلُوا كَيفَ عَلِمَ إبليسُ مَنزِلَةَ الشُّكرِ فِي العِبَاداتِ، فَجَعَلَهَا هَدَفَاً لِصَرفِ النَّاسِ عَن أَعظِمِ الطَّاعَاتِ، والعَجِيبُ أَنْ يَتحَقَّقَ هَذا الظَّنُّ مِن إبليسَ فَلا تَرَى أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)، ولِذَلكَ قَالَ اللهُ تَعالى: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)، فَلِمَاذا يَا بَني آدَمَ تُطِيعُونَ إبليسَ اللَّعينَ، وتُعرِضُونَ عَن طَاعَةِ وشُكرِ أَكرمِ الأَكرَمِينَ.

فالشُّكرُ هو عبادةُ الأنبياءِ والأصفياءِ من كلِّ جيلٍ، ولذلكَ فإنَّ المتَّصِفينَ بها والعاملينَ لها في كلِّ زمنٍ قليلٌ، فها هو أولَّ الرُّسلِ يُعلِّقُ وِسامَ الشُّكرِ على صدرِه: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً).

وها هو إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ، يُعطى شهادةً في الشُّكرِ والإسلامِ: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

لَكَ الحَمدُ حَمداً نَستَلِذُّ بِهِ ذِكرَاً *** وَإِنْ كُنتُ لا أُحصِي ثَنَاءً وَلا شُكرَا
لَكَ الحَمدُ حَمداً طَيِّبَاً يَملأُ السَّمَا *** وَأَقطَارَهَا وَالأَرضَ وَالبَرَّ وَالبَحرَا

ولذلكَ تطلَّعَ إلى هذه المنزلةِ سيِّدُ البشرِ، كما جاءَ في صَحيحِ الأثرِ، أنَّ رِجليِّ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من القيامِ كانتْ تتفطَّرُ، وهو الذي قد غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخرَ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى، قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا).

عَلِموا أنَّ الشُّكرَ عندَ اللهِ عظيمٌ، وأنَّه سبحانَه عن عبادِه غنيٌّ كريمٌ، وأنَّه يُعطي العطاءَ الجزيلَ الوافرَ، ليعلمَ الشَّاكرَ من الكافرِ، فَكُلُّ إنسانٍ هو بينَ الشُّكرِ والكُفرِ، كما قالَ تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)، واسمعْ إلى هذا الموقفِ لنبيِ اللهِ سُليمانَ عليه السَّلامُ: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)، صدقَ عليه السَّلامُ: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ).

أَوليتني نِعَماً أَبوحُ بشُكرِها *** وكَفيتني كَلَّ الأمورِ بأسرِها

فلأشكرنَّكَ ما حَييتُ وإن أَمُتْ *** فلتَشكرنَّك أَعظمي في قَبرِها

فَالشُّكرُ سببٌ لبقاءِ النِّعمِ وزيادتِها، ونَماءِ الأمَّمِ وسيادتِها، كما قالَ ربُّنا عزَّ وجلَّ: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)، فليسَ بَعدَ الشُّكرِ إلا الكفرُ، وليسَ بعدَ الكفرِ إلا العذابُ، ولِذَلِكَ مَنْ أَرَادَ الأَمَانَ من عذابِ اللهِ تعالى فَعليهِ بالشَّكرِ: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ).

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بالآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قَولي هذا، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم، ولسائرِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الحمدُ للهِ حمدُ الشَّاكرينَ، وأُثني عليه سبحانَه ثناءَ الذاكرينَ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه إمامَ الشاكرينَ وقُدوةَ الموحدينَ، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِه وأصحابِه أجمعينَ، ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ .. أما بعد:

من تأمَّلَ كتابَ اللهِ تعالى، وجدَ أن أكثرَ القَصَصِ تِكراراً هي قِصةُ موسى عليه السَّلامُ وفِرعونَ، وفيها مِثالٌ حيٌّ للشُّكرِ والكُفرِ، فقد أهلكَ اللهُ تعالى فِرعونَ الأثيمَ، الذي كَفرَ ولم يَشكرْ مَا أَعطاهُ من النَّعيمِ: (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)، ثُمَّ ما هي نهايةُ الجاحدِ لنِعمِ اللهِ؟، (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ).

وأما الشُّكرُ، فقَدِمَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ المدينةَ، فَوَجدَ اليهودَ صيامًا يومَ عاشوراءَ، فقالَ لهم: (ما هذا اليومُ الذي تصومونَه؟)، قالوا: هذا يَومٌ عظيمٌ، أنجَى اللهُ فيه مُوسى وقَومَه، وأَغرَقَ فِرعونَ وقومَه، فصامَه موسى شُكرًا، فنحنُ نصومُه، فقالَ: (فنحنُ أحقُّ وأولَى بمُوسَى منكم)، فصامَه وأمرَ بصيامِه، وقالَ: (لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومَنَّ التاسعَ)، أَيْ: معَ العاشرِ مخالفةً لليهودِ، يومٌ عظيمٌ من أيامِ الشُّكرِ قد خلَّدَه اللهُ تعالى في كتابِه الكريمِ، وجعلَ في صيامِه الأجرَ العظيمَ، فقالَ: (صيامُ يومِ عاشوراءَ أحتسِبُ على اللهِ أن يُكفِّرَ السَّنةَ التي قبلَه)، فصوموا عاشوراءَ شُكراً للهِ العزيزِ الغفورِ، وتذكَّروا قولَه تعالى: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ).

اللهمَّ آتِ نفوسَنا تقواها وزَكِّها أنت خيرُ من زكاها أنت وليُها ومولاها، اللهم إنا نسألُك الهُدى والسدادَ، اللهم إنا نسألُك الهُدى والتقى والعفافَ والغِنى، اللهم أصلح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ والموتَ راحةً لنا من كلِ شرٍ، اللهم إنا نسألُك من الخيرِ كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذُ بك من الشرِ كلِه عاجلِه وآجلِه ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهمَّ آمنا في أوطانِنا وأصلحْ أئمتَنا وولاةَ أمورِنا، واجعل اللهمَّ ولايتَنا فيمن خافك واتَّقاك واتَّبعَ رِضاكَ يا أرحمَ الراحمينَ، ربنا إنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرينَ، عبادَ اللهِ اذكروا اللهَ يذكركم، واشكروه على نعمِه وآلائه يزدكم، ولذكرُ للهِ أكبرُ، واللهُ أعلمُ بما تصنعونَ.